المنهج الاجتماعي في النقد المغاربي

يعد المنهج الاجتماعي من المناهج النقدية الناجعة في مقاربة الظواهر الادبية ، وهو منهج انحدر من المنهج التاريخي ، وتولد عنه ،وارتبط بفكرة مؤداها أن الادب تعبير عن الوعي الإجتماعي ،وعن الواقع ومشكلاته وقضاياه . وفي الحق هو ثمرة لالتقاء روافد فكرية وفلسفية منها ، الفلسفة المادية ، والواقعية الإشتراكية التي نادى بها كارل ماركس وأنصاره ،والتي قامت على فكرة الصراع الطبقي ، اضافة إلى غلم الإجتماع الذي يعنى بالمجتمعات البشرية وعلاقاتها.

فالمنهج الاجتماعي منهج نقدي يدرس ويحلل النصوص الادبية من منظور اجتماعي ، يتعامل مع الظاهرة الادبية على أنها ظاهرة اجتماعية ، فهذا المنهج يهدف إلى إبراز الصلة بين النص والمجتمع الذي نشأ عنه .

يقول صلاح فضل : " يمكننا القول بأن المنهج الاجتماعي هو الذي تبقى في نهاية الأمر من المنهج التاريخي، وانصبت فيه كل البحوث والدراسات التي كانت في البداية متصلة بفكرة الوعي التاريخي ،إذ سرعان ما تحول هذا الوعي إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع ، وبفكرة الطبقات ، وكذلك بفكرة تمثيل الادب للحياة على المستوى الجماعي ،وليس على المستوى الفردي ، بمعنى أنه كلما اعتبرنا الأعمال الأدبية تعبيرا عن الواقع الخارجي كان ذلك مدخلا لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته ونظمه وتحولاته ، باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية الفنية ."(1)

وإذا كان هذا المنهج قد انبثق من المنهج التاريخي ، فإنه عرف التطور حاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، حين اجتهد علماء الإجتماع لإيجاد متعصص من فروع المعرفة السوسيولوجية لدراسة الادب باعتباره ظاهرة اجتماعية كباقي الظواهر الاحتماعية الاخرى وأطلق على هذا الفرع الجديد اسم ( علم اجتماع الادب ) أو سو سيو لوجيا الادب .

المنهج الاجتماعي في النقد الغربي : من ممثلي هذا الاتجاه في النقد الغربي نجد مادام دي ستال التي تؤكد قي كتابها حول الادب " أننا لا نستطيع فهم الاثر الادبي وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة بالظروف الاجتماعية التي أدت إلى إبداعه وظهوره "(2) . بالاضافة إلى الفيلسوف المجري ( لوكاتش) والناقد الماركسي ( لوسيان غولدمان) "مزج الاول منهما بين النظرة التاريخية للادب والنظرة الاجتماعية ... أما لوسيان غولدمان فقد جدد النظرة الماركسية للادب عن طريق المزج بين البنيوية التي شاعت في الدراسات الأنثروبولوجية عند كل من ( جان بياجيه) و(شستراوس) ، والمادية التاريخية لدى الماركسيين ".(3)

وقد عرف هذا النقد تسميات عدة منها : النقد الواقعي ، والنقد الماركسي ،والنقد الايديولوجي ، والنقد الواقعي الاشتراكي ،والنقد الاجتماعي.

المنهج الإجتماعي في النقد العربي لقد ساد هذا المنهج في الوطن العربي منذ أوائل القرن العشرين ، وكان الناقد المصري ( سلامة موسى )من اوائل النقاد العرب الذين تبنوا المنهج الاجتماعي ،وقد تأثر بزعماء المدرسة الفرنسية نحو "ايميل دوركايم" و"ليفي بريل" وقد ربط سلامن موسى الحياة والادب في كتابه ( الحياة والادب ) ، ثم ارتأى أن يكون الادب في خدمة الشعب وذلك في كتابه الذي سماه ( الادب للشعب ) .ثم محمد مندور الذي اتبع النقد الاجتماغي الايديولوجي . وإذا كان ( لويس عوض ) قد مثل النقد الاشتراكي ، فإن محمود أمين العالم مثل النقد الإشتراكي على المستوى الواقعي الملتزم . (4)وممن مثلوا المنهج الاجتماعي في النقد العربي نذكر حسين مروة ، ورجاء النقاش ، وغالي شكري ، ومحمد مصايف ، والاعرج واسيني ، ومجمد برادة ونجيب العوفي وغيرهم

المنهج الاجتماعي في النقد المغاربي : التفت النقاد المغاربيون إلى هذا المنهج فاستعملوه في بحوثهم مثلما نجده عند محمد مصايف ، والاعرج واسيني ، ومحمد ساري في الجزائر ،وفي المغرب محمد برادة ،وإدريس الناقوري ، وعبد القادر الشاوي ، نجيب العوفي . وسنكتفي بالوقوف عند ناقدين هما محمد مصايف من الجزائر ،ونجيب العوفي من المغرب

1– صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر، الدار المصرية اللبنانية ط1 ،القاهرة ،1995 ،ص195.

2- ابراهيم محمود خليل ،النقد الادبي الحديث ، ص66-67.

3- المرجع نفسه ، ص70.

4- ينظر ابراهيم عبد العزيز ،اتجاهات النقد الادبي في القرن العشرين ،ص 64-65.

لقدعرف النقد الجزائري الاتجاه الإجتماعي خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي .وذلك حين سيطرت الايديولوجية الاشتراكية على شتى مناحي الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية ، وبدا واضحا الاهتمام بالبعد الاجتماعي في النص الأدبي .

ويأتي محمد مصايف في طليعة من رادوا النقد الاجتماعي في الجزائر ، لقناعته به وإ يمانه الراسخ بالرسالة الاجتماعية لللأدب . وقد كشف صراحة عن منهجه النقدي في كتابه " دراسات في النقد والادب " ، وسماه المنهج الواقعي التقدمي . وقال عنه : " في كل هذه الدراسات كنت أنظر إلى على أنه أثر أدبي يعبر عن قضايا اجتماعية قومية أو عاطفية ...أي نظرت إلى مضمون هذا الأثر ومدى علاقته بنفس صاحبه و بالمجتمع " .

ويظهر وفاؤه لهذا الاتجاه النقدي في كتابه " النثر الجزائري الحديث " ، حيث حرص على أن يكون موضوعيا ،من حلال الاعمال القصصية التي درسها، وهي لكل من الطاهر وطار و عبد الحميد بن هدوقة وزهور ونيسي وغيرها .

إن اهتمامه بالنقد الإجتماعي يظهر أيضا في كتابه " الرواية الجزائرية بين الواقعية والإلتزام " ، حيث درس عدة نصوص لروائيين جزائريين كروايتي " نهاية الامس " و " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة ، وروايتي " اللاز" و" الزلزال"للطاهر وطار ، و "طيور في الظهيرة " لمرزاق بقطاش . وقد صنف في هذه الدراسة الرواية الجزائرية إلى عدة أصناف منها الرواية الايديولوجية ، والرواية الواقعية ، والرواية الهادفة ، ورواية التأملات الفلسفية .

أما في المغرب فيعد نجيب العوفي من أهم النقاد الذين استخدموا المنهج الإجتماعي ، إلى جانب محمد برادة واخرين . ومن ابرز كتبه التي قامت على المنهج السوسيولوجي ( الإجتماعي ) نشير إلى كتابه ( درجة الوعي في الكتابة ) الذي أعلن فيه أنه يتبنى المنهج الواقعي . وفي كتابه ( جدل القراءة ) خصص فصلا للمسرح المغربي تحت عنوان "المسرح المغربي بانوراما تاريخية " انطلق من مرجعيات اجتماعية و منطلقات ايديولوحية من خلال ربط المسرح المغربي في تطوره بتطور الواقع المغربي.

1-محمد مصايف ، دراسات في النقد والأدب ،ص64 .

2- ينظر جميل حمداوي ،تنوع المقاربات النفدية عند نجيب العوفي ، الالوكة الادبية واللغوية .